رأى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
في معاوية والأمويين

رسالة عني بنشرها ، وصححها ، وكتب هوامشها
وترجم لمؤلفها

السيد عزت العطار الحسيني
مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية
من أقدم عصورها إلى الآن

جب الفرد سنة ١٣٦٥هـ يونيه سنة ١٩٤٦م

اهداء الرسالة :

لسيادة — نجل حفيد خاتم النبيين ، واشرف المرسلين ، فرع الدوحة الهاشمية المباركة ، الامام العادل يحي بن حميد الدين — صاحب السمو الملكى الأمير المعظم سيف الاسلام عبد الله .

سيدى

هذه الرسالة خطت فى القرن الثالث للهجرة النبوية بقلم زعيم من زعماء كتاب العصر العباسى وادبائه وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . كتبها الى احد ابناء عمومتكم من الامراء العباسيين . قد اعتزمت نشرها ورأيت من شرف المكانة لها ان تتوج باسم سموكم الكريم ، راجياً أن تنال الرضى والقبول ؟

الناشر

عزت العطار الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر :

لا إله الا الله الحليم الكريم ، سبحانه وتعالى رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

لم يكن قصدى من نشر هذه الرسالة — التى عثرت عليها فى ضمن مجموعة من المخطوطات القديمة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة المفيدة بفن التاريخ تحت رقم ٢٨٥٥ — ان اثير جدلا مذهبياً ، وتعصباً طائفيا مضت عليه قرون عديدة ، وكان سبباً من الاسباب التى أدت إلى تشعب المسلمين ، وتفرق كلمتهم فاحدثت بينهم جدلا لاتزال آثاره عالقة بأذهان بعض الناس إلى الآن ، ولسنا بصدد بيان المصيب والمخطئ فى المتسبب فى تلك الفتن فهذا موكول أمره والحكم فيه الى علام الغيوب واحكم الحاكمين .

ولـكن الذى دعانى إلى نشرها هو مكانة ناثرها العلمية والادبية ، فانه احد زعماء البيان العربى ، ومن شيوخ المعتزلة ورؤسائهم . لنعطى القارىء صورة حقيقية عن الـكتابة والنثر فى ذلك العصر الذهبى للامة العربية . عصر العلوم والمعارف . عصر الخليفتين هارون ، والمأمون . عصر الحضارة العربيـة التى كانت بلغت الذروة القصوى من المجد ، والفخر ، والسؤدد لاسيما وان كاتبها من المنتجين الذين اربت مؤلفاتهم على المـاية والستين فى مختلف العلوم والفنون .

لهذا ولما توخيته من القصد الحسن من نشر هذه الرسالة نذكر للقراء الـكرام بعض ماقاله المؤرخون والعلماء فى مقدرة الجاحظ العلمية من اقوال المعجبين به من أقوال المعجبين به ومن أقول خصومه

الجاحظ : هو عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلى صاحب المنزلة العالية عند أهل الأدب . كان ابن حزم يثق بنقله توفى سنة ٢٥٦ هـ .

قال أبو الحسين الملطى : كان الجاحظ صاحب تصانيف ولم يكن صاحب جدل

عاصر الجاحظ ثلاثة ممن اشتهروا بالتأليف وهم :

أبو الحسن على بن المدائنى صاحب المؤلفات المشهورة : روى الجاحظ عنه فى كتابيه البيان . والحيوان روايات كثيرة . وأبى عبيدة معمر بن المثنى الذى قال عنه صاحب الوفيات : ان مؤلفاته تقارب مأتى مصنف ، وقال عنه الجاحظ فى كتابه البيان : لم يكن فى الأرض خارجى ولا جاعى اعلم من ابى عبيدة بجمع العلوم . والثالث : العلامة الاديب هشام بن محمد الكلبى الكوفى الذى له مايه وتسعة وثلاثون مؤلفاً .

قال ياقوت : وحسبك بها فضيلة لابى عثمان الجاحظ أن يكون مثل ابن الاخشيد وهو من هو فى معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رءوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام .

وقال المسعودى وهو من خصوم الجاحظ : وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوا أصداء . الاذهان،وتكشف

بواضح البرهان لانه نظمها احسن نظم، ووصفها احسن رصف، وكساها كلامه اجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملل القارىء، وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة ثم قال: ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر من الجاحظ كتباً.

وذكر صاحب وفيات الاعيان: ان أبا القاسم السيرافى قال: حضرنا مجلس الاستاذ ابى الفضل بن العميد فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به، وسكت الوزير عنه. فلما خرج الرجل قلت له: سكت ايها الأستاذ عن هذا الرجل فى قوله ما عهدتك فى الرد على امثاله تتوانى؟ فقال: لم اجد فى مقابلته أبلغ من تركه على جهله، ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انساناً. يا أبا القاسم. فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا، والادب ثانيا ولم استصلحه لذلك.

وقال أبو المظفر الاسفراينى فى كتابه التبصير فى الدين: عمرو بن بحر الجاحظ، وقد اغتر اصحابه بحسن بيانه فى

تصانيفه ولو عرفوا ضلالته وما احدثه في الدين من بدعة لكانوا يستغفرون عن مدحه، ويستنكفون عن الانتساب إلى مثله فمن بدعه قوله ان الله تعالى لا يدخل احداً النار ولكن النار بطبعها تجذب أهلها ثم تمسكهم في جوفها خالداً مخلداً وقال عن الجنة نفس قوله عن النار. فابطل بهذا القول، الرغبة والرهبة. والثواب، والعقاب من الله تعالى وقد افتخر به الكعبي وعده من مشايخ المعتزلة.

وذكر ابو الفداء في حوادث سنة ٢٥٥هـ فقال: وفي محرم هذه السنة توفي أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف المشهورة وكان كثير الهزل وخالط الخلفاء ونادمهم أخذ العلم عن المتكلمين وكان الجاحظ قد تعلق بأسباب ابن الزيات فلما قتل ابن الزيات قيد الجاحظ وسجن ثم اطلق.

قال الجاحظ: ذكرت للمتوكل لتعليم ولده فلما مثلت بين يديه بسامرا استبشع منظري فامر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني. وصنف الجاحظ كتباً كثيرة، منها كتاب البيان والتبيين جمع فيه بين المنثور والمنظوم. وكتاب الحيوان.

وكتاب الغلمان ، وكتاب الفرق الاسلامية وكان جاحظ العينين كاسمه .

قال المبرد : دخلت على الجاحظ فى مرضه فقلت كيف أنت ؟ فقال كيف يكون من نصفه مفلوج لو نشر ما أحس به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب به آلمه وقد جاوز التسعين ثم أنشد :

اترجو أن تكون وأنت شيخ   كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب   دريس كالجديد من الثياب

وقد روى أن موته كان بوقوع مجلدات العلم عليه . وكان من عادته أن يضعها قائمة كالحائط محيطة به وهو جالس اليها وكان عليلا فسقطت عليه فقتلته .

هذا ملخص وجيز لحياة هذا العالم الفذ وإذا اردت أن ابين حياته العلمية والأدبية وأستوعب ماقاله العلماء عنه لاحتاج إلى تصنيف كبير لاتتسع له هذه الرسالة والله سبحانه وتعالى حسبي ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ :

أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك وكرامته لك : اعلم ارشد الله أمرك ان هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها والخروج من جاهليتها الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة .

فالطبقة الأولى : عصر النبي ﷺ ، وابى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه كانوا على التوحيد الصحيح ، والاخلاص المحض مع الألفة ، واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا حسد ، ولا غل ، ولا تأول حتى كان الذى كان من قتل (١) عثمان رضى الله عنه ،

---

(١) قتل رضى الله عنه يوم الجمعة ثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣٦ هـ .

وما انتهك منه ، ومن خبطهم اياه بالسلاح . وبعج بنطه بالحراب ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط ، ونهيه عن الامتناع مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة ، وصلى الى القبلة ، وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نسائه بحضرته ، واقتحام الرجال على حرمته ، مع اتقاء نائلة بنت [1] القرافصة عنه بيدها حتى أطنّوا [2] اصبعين من أصابعها . وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعاً لهم ، وكاسراً من غربهم ، مع وطئهم فى أضلاعه بعد موته ، والقائهم على المزبلة جسده مجرداً بعد سحبه . وهى الجزرة التى جعلها رسول الله ﷺ كفؤا لبناته ، وايامه ، وعقائله . بعد السب والتعطيش ، والحصر الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم ، وافحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلا من

---

(١) هى زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه كانت نصرانية

(٢) أى قطعوا .

ارتد بعد اسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل مؤمناً على عمد ، أو رجل عدا على الناس بسيفه . فكان فى امتناعهم منه عطبة ، ومع اجتماعهم على أن لا يقتل من هذه الامة مول ، ولا يجهز على جريح ثم مع ذلك كله ذفروا عليه وعلى ازواجه وحرمه وهو جالس فى محرابه ومصحفه يلوح فى حجره لن يرى أن موحداً يقدم على قتل من كان فى مثل صفته وحاله .

لاجرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت ثائره ، ولا يكل طالبه . وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له ! . وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام على غليانه ، وقتل سافحه ، وأدرك بطائلته ، وبلغ كل محبته كدمه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم فى أخذه ، وفى اقامته للناس والاقتصاص منه ، وفى بيع ما ظهر من رباعه ، وحدائقه وسائر امواله ، وفى حبسه بما بقى عليه ، وفى طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين ، والسلف المتقدمين ،

والانصار والتابعين [1] ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ومراتب متباينة. من قاتل، ومن شاد على عضده، ومن خاذل له قاعد عن نصرته، والعاجز ناصر بارادته. ومطيع بحسن نيته، وإنما الشك منا فيه وفى خاذله ومن اراد عزله والاستبدال به

فاما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه فضلال لاشك فيهم، ومراق لا امتراء فى حكمهم. على أن هذا لم يعد منهم الفجور اما على سوء تأويل، واما على تعمد للشقاء، ثم مازالت الفتن متصلة، والحروب مترادفة كحرب الجمل، وكوقائع صفين [2] وكيوم النهروان، وقبل ذلك يوم الزابوقة،

(١) فات الجاحظ ان يذكر دفاع امير المؤمنين الأمام على كرم الله وجهه وارساله ولديه سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين للدفاع عنه والوقوف فى بابه حتى أثخنا بالجراح

(٢) صفين موضع على الفرات من الجانب الغربى بطرف الشام مقابل قلعة نجم كانت فيها الوقعة المشهورة بين الأمام على ومعاوية.

وفيه اسر ابن حنيف ، وقتل حكيم بن جبلة إلى أن قتل اشقاها علي[1] بن ابى طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة واوجب لقاتله النار واللعنة ، إلى ما كان من اعتزل الحسن عليه السلام الحروب ، وتخليه الامور عند انتشار اصحابه ، وما راى من الخلل فى عسكره ، وما عرف من اختلافهم على ابيه ، وكثرة تلونهم عليه . فعندها استوى معاويه على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين فى العام الذى سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة بل عام فرقة وقهر ، وجبرية ، وغلبة ، والعام الذى تحولت فيه الامامة ملكا كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً ، ولم يعد ذلك اجمع الضلال والفسق ، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل مارتبنا حتى رد قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً فى ولد

(١) قتله الملعون عبد الرحمن بن ملجم المرادى غيلة فى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ .

الفراش[1]، وما يجب للعاهر مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لابي سفيان فراشاً وانه إنما كان بها عاهراً فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل حجر بن عدى[2]، واطعام

---

(١) الحديث : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

(٢) هو : حجر بن عدى بن معاوية الكندى وهو المعروف بحجر الخير وفد على النبي ﷺ هو واخوه هانىء ابن عدى فكان من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين. كان حجر من اصحاب على بن ابي طالب كرم الله وجهه وامرائه على جنده فقد ولاه امارة كنده ، وحضر موت ، ومهرة ، وقضاعة يوم صفين وجعله على الميمنة يوم النهروان وحضر وقعة الجمل . وكان حديث قتله صبراً ما ملخصه : لما ولى زياد ابن ابيه العراق وأظهر من الغلظة وسوء السيرة حدثت مرة ان زياد اطال فى الخطبة فقال له حجر : الصلاة . فمضى زياد فى الخطبة فحصبه حجر وناس من اصحابه بالحجارة حتى نزل فكتب زياد الى معاوية واخبره بما يلقاه من حجر واصحابه

عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفيء، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الاحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب، ورد السنة إذ كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره إلا ان احدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الامة. ثم لم تكن إلا فيمن يدعي امامتها، والخلافة عليها على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره.

فكتب اليه معاوية ان ارسله الى هو واصحابه فبعث بهم مع وائل بن حجر الحضرمي فلما اشرفوا على مرج عذراء وهي قرية عند دمشق أمر معاوية بقتلهم. فشفع اصحابه في بعضهم فشفعهم ثم قتل حجر وستة من اصحابه، ولما ارادوا قتله صلى ركعتين ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لاطلتهما وقال: لاتنزعوا عني حديداً، ولاتغسلوا عني دماً فاني ملاق معاوية على الجادة واني مخاصم.

وقد اربت عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا فقالت : لاتسبوه فان له صحبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة . فزعمت أن من السنة ترك البرآة ممن جحد السنة . ثم الذى كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نصرته ثم غزو مكة ، ورمى الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام فى أكثر أهل بيته مصابيح الظلام . واوتاد الاسلام بعد الذى اعطى من نفسه من تفريق اتباعه والرجوع إلى داره وحرمه أو الذهاب فى الأرض حتى لايحس به ، أو المقام حيث أمر به ، فابوا إلا قتاله والنزول على حكمهم . وسواء قتل نفسه بيده أو اسلمها إلى عدوه وخير فيها من لا يبرد غليله الا بشرب دمه .

فاحسبوا قتله ليس بكفر ، واباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة كيف تقولون فى رمى الكعبة ، وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين ؟ فان قلتم ليس ذلك ارادوا بل إنما ارادوا المتحرز به ، والمتحصن بحيطانه فما كان فى حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه إلى أن يعطى بيده . وأى شىء بقى من رجل

قد اخذت عليه الارض إلا موضع قدمه ؟ واحسب مارووا عليه من الاشعار التى قولها شرك ، والتمثل بها كفر شيئا مصنوعا . كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنتى الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله ﷺ حواسر على الاقتاب العارية ، والابل الصعاب ، والكشف عن عورة على بن الحسين عند الشك فيه فى بلوغه على انهم ان وجدوه وقد انبت قتلوه ، وان لم يكن انبت حملوه كما يصنع امير جيش المسلمين بذرارى المشركين . وكيف تقول فى قول عبيد الله ابن زياد لاخوته وخاصته دعونى اقتله فانه بقية هذا النسل . فاحسم به هذا القرن ، واميت به هذا الداء ، واقطع به هذه المادة !

خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا انفسهم بقتلهم ، ونالوا ما احبوا فيهم ! اتدل على نصب وسوء رأى ، وحقد ، وبغضاء ، ونفاق وعلى يقين مدخول وايمان مخروج ؟ أم تدل على الاخلاص ، وعلى حب النبى ﷺ ، والحفظ له ! وعلى براءة الساحة ، وصحة السريرة ؟ فان كان على ما وصفنا لايعدو الفسق والضلال وذلك ادنى منازله

فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن لعن الملعون فلعون .

وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة . وان كانوا يأخذون السمي بالسمي، والولي بالولي . والقريب بالقريب، واخافوا الاولياء ، وامنوا الاعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى واظهار القدرة والتهاون بالامة ، والقمع للرعيـــة ، وأنهم في غير مداراة ولا تقية ، وانه عدا ذلك الى الكفر وجواز الضلال إلى الجحد فذلك اضل ممن كف عن شتمهم ، والبراءة منهم .

على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالسنة بالقتل كمن استحقه برد السنة ، وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر كمن استحقه بالتجريد والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وابيه ، وابن زياد ، وابيـه ولو ثبت ايضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى :

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا   ثم قالوا يا يزيد لاتسل

قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجويز النابق لربه وتشبيهه بخلقه اعظم من ذلك ، واقطع. على انهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا متعمداً أو متأولا . فاذا كان القاتل سلطانا جائراً ، أو اميراً عاصيا ، لم يستحلوا سبه ، ولا خلعه ، ولا نفيه ، ولا عيبه . وإن اخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، واجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمور ، وأظهر الفجور ، ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة . ويشاركونهم مرة ، الا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره . حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وعاملهما الحجاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن ابي مسلم فاعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالغزو . فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرمة ، وحولوا قبلة واسط ، وأخروا صلاة الجمعة الى مغربان الشمس .

فان قال رجل لاحدهم اتق الله فقد اخرت الصلاة عن وقتها قتله على هذا القول جهاراً غير ختل ، وعلانية غير سر

ولا يعلم على ذلك الا أقبح من انكاره فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر باعظم منه . وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ بعض الجبابرة ، وخوفه العواقب وأراه ان فى الناس بقية ينهون عن الفساد فى الأرض حتى قام عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه .

فاحسب تحويل القبلة كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب مارووا من كل وجه انهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء فى أهله ارفع عنده من رسوله اليهم باطلا ومسموعا مولدا ، واحسب وشم ايدى المسلمين ، ونقش ايدى المسلمات وردهم بعد الهجرة إلى قراهم. وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى، والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون كفراً ، كيف تقول فى جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس اعالى الجدران كالملأ المعصفر ؟! فان نطق مسلم خبط بالسيف ، واخذته العمد ، وشك بالرماح، وان قال قائل : اتق الله اخذته العزة بالاثم ثم لم يرض إلا بنثر

دماغه على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا فى طريق التمرد على الله عز وجل، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق أكل امرائهم الطعام ، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم . فعل ذلك حسن بن دجلة ، وطارف مولى عثمان ، والحجاج وغيرهم ذلك ان كان كفركله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض دهرنا لان جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس فى القدر على أن طائفة تقول كل شىء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة اخرى كل شىء بقضاء وقدر الا المعاصى ، ولم يكن احد يقول ان الله يعذب الابناء ليغيظ الاباء ، وإن الكفر والايمان مخلوقان فى الانسان مثل العمى والبصر .

وكانت طائفة تقول ان الله يرى لاتزيد على ذلك فان خافت ان يظن بها التشبيه قالت بلى كيف يتقزز[1] أمن

---

(١) التقزز التنطس والتباعد من الدنس .

التجسيم والتصوير حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة فقالت جسما وجعلت له صورة وحداً ، وكفّرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ، ثم زعم أكثرهم ان كلام الله حسن ، وبين ، وحجة ، وبرهان .
وان التوراة غير الزبور ، والزبور غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وان الله تولى تأليفه وجعله برهانه على صدق رسوله . وانه لو شاء ان يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخة ، وانه انزله تنزيلا . وانه فصله تفصيلا ، وانه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه الا هو . غير ان الله مع ذلك لم يخلقه فاعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق .

والعجب ان الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه فاذا قالوا خلق كذا وكذا ولذلك قال : « أحسن الخالقين » . وقال : « وتخلقون[1] إفكا » . وقال : « وإذا تخلق من الطين كهيئة

---

(١) سورة المؤمنون .

الطير[1]» . فقالوا : صنعه ، وجعله ، وقدره ، وانزله ، وفصله ، واحدثه ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه اكثر من قدره ولو قالوا بدل قولهم قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم الا من وجه واحد . والعجب ان الذى منعه بزعمه ان يزعم انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه وهو يعلم انه لم يسمع أيضا عن سلفه انه ليس بمخلوق وليس ذلك بهم ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثال خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام .

ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين وجب ان الله عز وجل لكلامه غير خالق إذ كنا غير خالقين لكلامنا فانما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا وان لم يقروا بذلك بالسنتهم فذلك معناهم وقصدهم ، وقد كانت هذه الأمة لاتجاوز معاصيها الاثم

(١) سورة الصافات .

والضلال الا ما حكيت لك عن بنى امية ، وبنى مروان وعمالهم من لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوابت ، وتابعتها هذه العوام فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو : التشبيه ، والجبر . فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الاعمال التى هى الفسق وشركاء من كفر منهم بتوليهم وترك اكفارهم قال الله عز من قائل : « ومن (١) يتولهم منكم فانه منهم » .

وارجو ان يكون الله اغاث المحقين ورحمهم ، وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم حتى صاروا ولاة امرنا فى هذا الدهر الصعب، والزمن الفاسد اشد استبصارا فى التشبيه من عليتنا . وأعلم بما يلزم فيه منا ، واكشف للقناع من رؤسائنا وصادفوا الناس وقد انتظموا معانى الفساد اجمع ، وبلغوا غايات البدع ثم قرنوا بذلك العصبية التى هلك بها عالم بعد عالم ، العصبية لاتبقى دينا الا افسدته ، ولادنيا الا اهلكتها وهى ما أصار اليه العجم من مذهب الشعوبية ، وما قد أصار

---

(١) سورة المائدة

اليه الموالى من الفخر على العجم والعرب .

وقد نجمت من الموالى ناجمة ، ونبتت منهم نابتة تزعم ان المولى بولائه قد صار عربيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمة كلحمة النسب لايباغ ولايوهب » . قال فقد علمنا ان العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا اشرف من العرب ، ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب اشرف منهم قالوا : فنحن معاشر الموالى بقديمنا فى العجم اشرف من العرب ، وبالحديث الذى صار لنا فى العرب اشرف من العجم . وللعرب الحديث دون القديم وللعجم القديم دون الحديث ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا وصاحب الخصلتين افضل من صاحب الخصلة . وقد جعل الله المولى بعد ان كان عجميا عربيا بولائه كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه وبعد ان جعل اسماعيل وكان اعجميا عربيا ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اسماعيل كان عربيا » . ما كان عندنا الا اعجميا لان العجمى لايصير عربيا كما ان العربى لايصير عجميا فانما علمنا

ان اسماعيل صيره الله عربيا بعد ان كان عجميا بقول النبي صلى الله عليه وسلم « ان اسماعيل كان عربيا » فكذلك حكم قوله : « مولى القوم منهم » وقوله : « الولاء لحمة » .

قالوا وقد جعل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا لمن لم يلد كما جعله ابا لمن ولد ، وجعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين ولم يلدن منهم احدا ، وجعل الجار والد من لم يلد فى قول غير هذا كثير قد اتينا عليه فى موضعه وليس ادعى الى الفساد ولا اجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها فخور « الا قليل » وأى شيء اغيظ من ان يكون عبدك يزعم انه اشرف منك وهو مقر بانه صار شريفا بعتقك اياه .

وقد كتبت مد الله فى عمرك كتبا فى مفاخرة قحطان ، وفى تفضيل عدنان ، وفى رد الموالى الى مكانهم فى الفضل والنقص والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف وارجو ان يكون عدلا بينهم ، وداعية الى صلاحهم ومنبهة عليهم ولهم . وقد اردت ان ارسل بالجزء الأول اليك ثم

رأيت ألا يكون الا بعد استئذانك واستئمارك والانتهاء في ذلك الى رغبتك فرأيك فيه موفق ان شاء عز وجل وبه الثقه

﴿ انتهت الرسالة ﴾



المختار من مطبوعات

السيد عزت العطار الحسيني

مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية

من أقدم عصورها إلى الآن

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الصادح والباغم	ابن الهبارية
يتيمة الدهر	للوزير السيد أبي الحسين بن احمد ابن الحسن بن على رضى الله عنه
الاكتساب فى الرزق المستطاب	الامام محمد بن الحسن الشيبانى
المتشابه فى نظم النثر وحل الشعر	السيد عزت العطار الحسينى
الرسول العربى محمد بن عبد الله	« « « «
كشف اسرار الباطنية	محمد بن مالك الحمادى اليمانى

اللمعة	الامام ابراهيم الحلبي المذارى
التبصير	الامام الاسفريني
الاحكام	الامام القرافى
مناظرات فى الادب	لابن نباتة والمبارديني واليمانى
النبذ	الامام ابن حزم الأندلسى
قانون التأويل	للامام الغزالى
الثمرة البهية فى الصحابة البدرية	الشيخ سالم الحفنى
الانتصار والترجيح	يوسف بن فرغل
العزلة	الامام الخطابى البستى
اصلاح خطا المحدّثين	» » »
الفروسية	الامام ابن قيم الجوزية
تأنيب الخطيب	الامام محمد زاهد الكوثرى
احاديث الموطأ	الدارقطنى
كشف المغطى فى فضل الموطا	ابن عساكر



السيد عزت العطار الحسيني